

# المناهج والأطر التأليفية في تراثنا

د . محمد بن لطفي الصباغ

**إن** المكتبة الاسلامية من أغنى مكتبات الدنيا ، وهي حافلة بالجديد في الفكر والفن المبرع بالعبقريّة والإبداع ، والجودة والإمتاع . وقد كانت هناك مناهج التزمها علماءنا المتقدمون في تأليفهم وأطر لتلك التأليف . وأود في هذا البحث أن أعرف بالفروق الدقيقة بين منهج وآخر من مناهج التأليف هذه ، وأن نقف على خصائص كل إطار من الأطر التي صيغت ضمنها كتب تراثنا الاسلامي الحالد ، وأن نميز أنواع المؤلفات المتعددة التي تركها السلف ثروة غنية مازلتنا نفيد منها ، وهي جديرة بأن نعتز بها أعظم الاعتزاز .

هناك مناهج للتأليف عند العلماء المسلمين . وهناك أطر تأليفية والفرق بين الأمرين واضح من التسميتين :

- فالمنهج هو الخطة التي يسير عمل المؤلف وفقها ليُسجل ما انتهى إليه علمه من نتائج . وقد قالوا في تعريف المنهج :

« هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار . إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين . وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين وتعليمهم إياها حين نكون بها عارفين»<sup>(١)</sup> .  
- أما الأطر التأليفية فهي القوالب التي التزمها العلماء في وضع الكتب في العلوم .  
هذا ولكل عمل تألفي - كما هو معلوم - أمور ثلاثة هي :

(١) الغاية والهدف

(٢) المنهج والخطة .

(٣) الإطار والشكل .

ولن نعرض في هذا البحث إلى الغاية إلا باعتبار أنها عامل مؤثر في المنهج والاطار ؛ وإن كان الحديث عنها مهما جدا لاسيما في تقرير الدافع للتأليف . فان كانت الغاية ابتغاء ما عند الله من الثواب . ونفع العباد ونشر العلم كان لذلك أثره البالغ في انتفاع الناس بالكتاب .

### مناهج التأليف :

هناك كتب عدة في مناهج البحث . وهي تختلف من علم إلى علم ؛ ولذلك فإننا نجد في المكتبة العربية الحديثة وفرة واضحة من هذه الكتب . فهناك كتب في مناهج البحث في الأدب . وكتب في مناهج البحث في النحو . وكتب في مناهج البحث في علم الاجتماع . وكتب في مناهج البحث في علم النفس . وكتب في مناهج البحث في التاريخ .. وما إلى ذلك .

ولكن هذه الكتب نوى يختلف عن مناهج التأليف التي أتحدث عنها هنا ؛ ذلك لأن البحث للوصول إلى الحقيقة يختلف عن طريقة عرض هذه الحقيقة . فموضوعنا هو في عرض هذه الحقائق وتزنيها وتعليمها . لا في كيفية الوصول إليها . إن التأليف يكون مرحلة نالبة لمرحلة البحث . وهذا مايدل عليه تعريف المنهج الذي سبق أن أوردناه .

وتختلف مناهج التأليف باختلاف الأمور الآتية :

(أ) العلوم .

(ب) العصور .

(ج) مذاهب المؤلفين واتجاهاتهم العلمية وطاقتهم ومواهبهم .

(د) الغايات التي من أجلها ألفوا كتبهم .

(أ) فللعلوم التقليدية منهجها الخاص بها . ويميز عن منهج التأليف في العلوم التجريبية عبراً تاماً .  
فلكل منهج يختلف عن الآخر تبعاً لاختلاف العلوم .

فالمنهج الذي اعتمدته ابن جرير الطبري رحمه الله - المتوفى سنة ٣١٠هـ - في تفسيره القيم مثلاً يختلف اختلافاً بيناً عن المنهج الذي اعتمدته ابن سينا - المتوفى سنة ٤٢٨هـ - في كتاب «القانون في الطب»<sup>(٢٢)</sup> : ذلك لأن العلم النقل يفرض منهجاً خاصاً لا مفر من استخدامه . وهذا المنهج هو الاعتماد على الرواية . والرواية تقتضي إيراد الأخبار بأسانيد لها لشاح للمحقق الترتيب بين الروايات . وأخذ الصحيح منها ونبذ الضعيف والضعف . وقد كانوا يفترون أن إيراد الأخبار بأسانيدها يبري الذمة ويخرج صاحبها من المسئولية والعهدة .

أما العلم الذي يعالج قضايا غير نفلية كالمرض الذي يصيب الإنسان وكالبحث في النبات والأفلاك والهندسة والرياضيات والمنطق . فإنه يفرض منهجاً آخر يعتمد على معقولة الحقائق . إما عن طريق الفكر والمنطق . وإما عن طريق تجربتها وامتحانها عملياً . والأمثلة على كتب التراث التي تسلك المسلك التجريبي كثيرة . نذكر منها كتاب «الحاوي» لأبي بكر الرازي محمد بن زكريا - المتوفى سنة ٣٢٠هـ - . وكتاب «جامع مفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار . وقد ذكر ابن التديم في «الفهرست» وطائفة أخرى زاده في «مفتاح السعادة» مئات الكتب في هذا الصدد .

وما يذكره كثير من المحدثين<sup>(٢٣)</sup> نموذجاً على ذلك «رسائل إخوان الصفا» : فقد عرضت إلى موضوعات علمية غريبة . ولكن هذه الرسائل منحرفة هدامة تزرع الشك وتشتت الخرافة وتضيع الزين<sup>(٢٤)</sup> .

وكذلك فإن العلوم الاجتماعية واللغوية والفقهية لكل منها منهج خاص بها وإن اختلفت العصور وتغير المؤلفون<sup>(٢٥)</sup> .

قال الاستاذ عبد الرحمن بدوي : ( .. وتبعاً لاختلاف هذه العلوم تختلف المناهج ولكنها يمكن أن ترد إلى منهجين هما :

- الاستدلال - والتجريب

بضاف إليهما منهج ثالث خاص بالعلوم الأخلاقية أو التاريخية هو منهج الاستدلال<sup>(٢٦)</sup> .  
(ب) وللعصر تأثير واضح على مناهج المؤلفين . فانك لو وازنت بين كتابين في علم واحد ألفا في عصرين مختلفين لوجدت بينهما اختلافاً ملموساً . ونذكر على سبيل المثال كتاب «سبويه» وكتاب «الشفا» لابن همام وهما في النحو . وكتاب «الأم» للشافعي وكتاب «متن الغاية والتفريب» لأبي شجاع وهما في فقه الشافعية .

وهذا أمر بدوي . لأن المؤلف لابد له من أن يتجاوب ويتفاعل مع عصره . ولن يتجو من

المختصون لمتطلباته الفكرية . وللعوامل المتعددة التي ساهمت في تكوينه ، ولا بد له من أن يتأثر  
بفضاء عصره المهمة التي يخضع لها الناس جميعا .

والتأثر بواقع العصر على نوعين : إيجابي وسلبي . تأثر بساير هذا الواقع وبمضى في طريقه . وتأثر  
بتنافر معه وبمضى في طريق معاكس وكلاهما تأثر .

وأن الأعراف العلمية تتبدل من زمن إلى زمن .. والأسلوب المفضل عند العلماء في معالجته  
المسائل العلمية يختلف من عصر إلى عصر .

ففى العصور الأولى كان يسيطر على مؤلفينا شعور بأنهم يدونون العلم في كتب لأول مرة .. ولذا  
فقد كان الطابع الذى نلمحه - نتيجة لذلك - في مناهج التأليف في تلك الحقبة هو الحرص على جمع  
كل ما يقع تحت سمع المؤلف وبصره . مما يدخل في اختصاص علمه وموضوع كتابه . ولا يكون  
للترتيب والتنويب فيه إلا الأثر الضئيل .

بينما أصبح أمام المؤلفين في العصور المتأخرة تراث ضخمة من الكتب التي جمعت المعلومات  
الكثيرة . وأعجبوا بصبر أولئك المؤلفين على صعوبة العمل وطاقتهم الجبارة .. وانتهى معظم  
المتأخرين إلى أن مجال الجمع قد انقضى وانصرم . بل ذهب بعضهم إلى أن الإبداع في الفن  
والاجتهاد في الدين قد نوقفا . فالتفتوا إلى هذه المعلومات ينسقونها وينظموها في أبواب .  
ويقعدون مافيها من قواعد . ويجمعون الشيء إلى مثله . ويسيطون ما يحتاج إلى بسط .  
ويحذفون ما يروونه فضولا . وكان عاقبة ذلك ظهور عدد من الكتب المبنية المرنية والمنظمة .  
ومادمتنا في صدد الحديث عن اختلاف مناهج التأليف باختلاف العصور فلا بد من ذكر الملاحظة  
الهامة الآتية :

لقد خضعت الكتب لمقتضيات نسوة العلم ولطوره وتغيره تدريجيا . وليس طبيعيا أبدا أن يكون  
الكتاب الأول في علم من العلوم كاملا لأول مرة . إن مقتضيات نسوته تحتم أن تكون هناك محاولات  
بدائية تسبق ظهور الكتاب المكتمل .. وتكرر المحاولات .. ولا تزال تتقدم شيئا فشيئا وتسمو تدريجيا  
حتى تصل إلى مرحلة التوضيح والتمام . والدارس لتاريخ التأليف في علم من العلوم يرى مصداق هذه  
الملاحظة في الكتب الأولى .

جاء ولا نجاحات المؤلفين العلمية . ولزايهاهم الشخصية تأثير كبير في اختلاف مناهج التأليف .  
فلكل مؤلف خصائص تأليفية ذاتية . عملت في تكوينها عوامل متعددة . يختلف بها عن غيره ممن  
يزلقون في العلم نفسه ومن يعاصرونه . وأوضح ما تكون هذه الفروق إذا كان المؤلفان ممن ينتمون  
بالأصالة . وكانا إمامين من كبار المؤلفين .

ولنأخذ على ذلك مثلا كتابين ألفا في عصر واحد هو القرن السابع الهجرى وفي علم واحد وهو  
علم البلاغة .. إتنا نرى أن اتجاه كل من المؤلفين مختلف وأن كلا منهما صيغ كتابه بصيغة تختلف

عن صيغة معاصره . وهذان الكتابان هما :

- كتاب مفتاح العلوم للسكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ «الشمس الخاص بالبلاغة» .

- وكتاب المثل السائر لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ .

إن للعامل الشخصي للمؤلف وزنه الكبير وأثره الواضح في مناهج التأليف .

ويبدو الفرق أوضح عندما يعلو مؤلف في مواهبه وقدرته وينحدر آخر فيها ولا يتميز إلا بالقدرة على الجمع .. إن مثل هذه الحالة نتج بروز الفرق بشكل أوضح وأجلى .

(د) وكذلك فإن للغاية التي يرمى إليها المؤلف تأثيرا كبيرا في المنهج . فإن كانت غايته تعليم الصغار كان هناك منهج يلزم بالاقصصار على إيراد الأصول الهامة والمخطوط الكبرى للموضوع . ولا يستغنى ولا يأتى بالفروع والتفصيلات . ونراه يستبعد كل ما هو معقد من هذا الموضوع ويكثر من الأمثلة .

- وإن كانت غايته وضع مرجع موسع للمتخصصين في هذا الموضوع استغنى . وجاء بالفروع والتفصيلات . وجمع كل ما ينصل بموضوعه وكان له منهج يخالف المنهج السابق في معظم الأمور . - وإن كانت غايته الرد على رأى مغلوط كان له منهج ثالث .. وهكذا .. وقد نكلم العلماء حول غايات التأليف ومقاصده :

- فعقد ابن خلدون فصلا في مقدمته في المقاصد السبعة التي ينبغي اعتيادها كالتأليف . قال : (ثم إن الناس حصروا مقاصد التأليف التي ينبغي اعتيادها وإلغاء ما سواها فعدوها سبعة) :

أولها : استنباط العلم بموضوعه وتلويح أبوابه وفصوله وشرح مسائله أو استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقق بحرص على إيصالها لغيره لنعم النفع به فيودع ذلك بالكتاب في الصحف لعل المتأخر يظهر على تلك الفائدة .

وثانيها : أن ينف على كلام الأولين وتوابعهم . فيجدها مستقلة على الأفهام . ويفتح الله في فهمها بحرص على إثباته ذلك لغيره ممن عساه يستغنى عليه لتصل الفائدة لاستحسان هذه طريقة البيان لكتب العقول والمنقول وهو فصل شريف .

وثالثها : أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعد في الإفادة صيته . ويستنون من ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه ويحرص على إيصال ذلك لمن بعده ..

ورابعها : أن يكون الفن الواحد قد غصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه . فيقتصد المطلع على ذلك أن ينعم مانقص من تلك المسائل ليكمل الفن بكمال مسائله وفصوله ولا يبقى للنقص فيه مجال .

وخامسها : أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منظمة . فبفسد المطلع على ذلك أن يرتبها ويهذبها ويجعل كل مسألة في بابها ..

وسادسها : أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبوابها من علوم أخرى . فينتبه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفن وجمع مسائله فيفعل ذلك ويظهر به فن ينظمه في جملة العلوم التي ينحلها البشر بأفكارهم .

وسابعها : أن يكون الشيء من التواليف التي هي أمهات للفنون مطولا مسها . فبفسد بالتأليف تلخيص ذلك بالاختصار والإيجاز وحذف المتكرر إن وقع مع الحذر من حذف الضروري لتلا بخل بمصدا المؤلف الأول .. (٧)

- وذكر حاجي خليفة فريرا من ذلك . قال :

ثم إن التأليف على سبعة أقسام . لا يزل عالم عاقل إلا فيها وهي :

إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه .

أو شيء ناقص يتممه .

أو شيء مغلق يشرحه .

أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه

أو شيء متفرق يجمعه

أو شيء مختلط يربيه

أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه (٨)

- ونقل الأستاذ جمال الدين القاسمي عن أبي حيان قوله :

ينبغي ألا يخلو تصنيف من أحد المعاني التي تصنف لها العلماء وهي :

اختراع معدوم . أو جمع متفرق

أو تكميل ناقص . أو تفصيل مجمل

أو هذيب مطول . أو زبيب مختلط

أو تعيين مبهم . أو تبين خطأ (٩)

ومن الواضح أن هذه الغايات ننحكم في منهاج المؤلفين . ونلزمهم بخطه تحقق الغاية التي يستهدفونها .

وعد تحمل الظروف العامة السياسية والاجتماعية في عصر من العصور المؤلفين على اختناط نهج في التأليف من أجل تحقيق غاية جليلة . كما حدث عندما قامت الحروب الطاحنة بين المسلمين والصليبيين والنصار . وكانت الكتابات تستهدف ديار المسلمين . ندر وتخرّب . وتأسي على كثير من مظاهر حضارتنا . فلقد حملت هذه الظروف العامة العلماء حينذاك على التخوف على هذه النفاقة أن

نضع البقية الباقية منها . فكان ذلك سببا لقيام منهج جديد في التأليف هو منهج الموسوعات الثقافية الكبيرة <sup>(١٠)</sup> من نحو «صبح الأعشى» للفيلسوف «نهاية الأرب» للنويري و «مسالك الأبصار» للمعري ... الخ .

وينبغي أن نقرر أثر مدرستي الأثر والرأي في مناهج التأليف . فلقد كان هذين الاتجاهين اللذين عرفا في كل شعب الثقافة الإسلامية أكبر الأثر على مناهج التأليف في كل العصور .

عرفنا هذين الاتجاهين في الفقه . والتفسير . واللغة والنحو وغيرها .

أما أولها فكان يحتكم إلى المأثور ويعتمده ولا يجاوزه . ويلتزم الرواية .. وكل ما يمكن بذله من جهود هو التأكد من صحة الأسانيد ثم الترجيح بين الروايات المختلفة إذا تفرقت درجاتها . ثم التوفيق بين مدلولاتها إذا كانت من درجة واحدة . ثم ترتيبها .

وأما ثانيها فكان يعطى العقل سلطة واسعة . ويعمل في المحاكمة والمناقشة وعرض القضية عرضا عقليا محضا . ويطبق بعض القواعد الأساسية المعروفة في علم المنطق .

وقد يغال بعضهم مغالاة فاحشة فيعطى العقل أكثر مما ينبغي له ويحمّله مالا طاقة له به .

قال ابن خلدون : إن العلوم صنفان :

- صنف طبيعي للانسان يمتدئ إليه بفكره .

- وصنف نقل يأخذه عن وضعه .

والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية . وهي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة

فكره ..

والثاني هي العلوم النقلية الوضعية . وهي كلها مستندة إل الخبر عن الواقع الشرعي .

ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول <sup>(١١)</sup> .

وقد تفاعل هذان الاتجاهان وأثر كل منهما في الآخر . وكان منها فيما بعد اتجاه وسط حاول

أن يجمع المحاسن الموجودة فيها .

### أنواع المؤلفات

نستطيع أن نقسم المؤلفات التي وصلت إلينا باعتبارين :

باعتبار المقدار .

باعتبار طبيعتها .

١ - فمن ناحية المقدار نميز ثلاثة أصناف :

أ - مختصرات : تجعل تذكرة لرؤوس المسائل وهي نعين العالم على استحضار مسائل العلم المنبئة

عادة في تايأ الأبحاث . وتفيد لأنها توفقه على أكبر قدر من عناوين قضايا العلم وخطوطها العربية

عناصرها الرئيسية . ولكنها لا تصلح أن تكون طريقة تعليمية .

ب - وبسوطات : وهي تقابل المختصرات ويتنفع بها طالب العلم للمطالعة .

ج - ومتوسطات : وهذه تفهمها عام <sup>(٦٧)</sup> .

وقد هاجم ابن خلدون في مقدمته المختصرات وعقد فصلا عنوانه : « كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم » .

وقال في هذا الفصل : « ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء . يولعون بها . ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم . يشتمل على حصر مسائله وأدلتها . باختصار في الألفاظ . وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن . وصار ذلك مخلا بالبلاغة . وعسرا على الفهم . وربما عمدا إلى الكتب الأمهات المطولة في القنون للتفسير والبيان . فاختصرها تقريبا للحفظ . كما فعل ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه . وابن مالك في العربية .. وأماها وهو فساد في التعليم . وفيه إخلال بالتحصيل . وذلك لأن فيه تخطيها على المبتدىء . بإلقاء الغايات من العلم عليه . وهو لم يستعد لقبولها بعد . وهو من سوء التعليم كما سبأني . ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم ينتج الفاظ الاختصار العويصة للفهم يتزاحم المعاني عليها . وصعوبة استخراج المسائل من بينها : لأن الفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة . فينقطع في فهمها حفظ صالح من الوقت . ثم بعد ذلك فالمملكة الحاصلة من التعليم من تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعبه أفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة . بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والاحالة القبيحين لحصول الملكة النامة <sup>(٦٨)</sup> .

وواضح أن نقد ابن خلدون لهذا النوع موجه إلى من يضع المختصر بين أيدي المتعلمين المبتدئين ويلزمهم بدراسته .

٢ - ومن ناحية طبيعتها لميز سنة أصناف هي :

أ - كتب ذات قيمة تاريخية : وأهمية هذه الكتب للدور التاريخي الذي لعبته في نشوء العلم . إذ تعطينا صورة لبداءة هذا العلم ونساعدنا على ادراك التطورات التي طرأت عليه بعد ذلك .

ب - مراجع عامة : وتشمل دوائر المعارف والمجمعات بأنواعها المختلفة .

ج - مراجع خاصة : وتشتمل المطولات المؤلفة في علم من العلوم .

د - دراسات علمية : وهي كتب عالجت ناحية من نواحي العلم بتوسع وفصلت القول فيها .

هـ - كتب مدرسية : وهي الكتب التي توضع للطلاب نعرفهم بحقائق العلم . وتأخذ بأيديهم ليعرفوا المصطلحات المستعملة في ذلك العلم . ولا بد فيها من الوضوح والتركيز وضرب الأمثلة .

و - كتب تطبيقية : وهي كتب نافعة جدا لطلبة العلم مثل كتب إعراب النواهد . وكتب الفتاوى . وبعض كتب النقد . وكتب التاريخ في الرياضيات .



اقتضت الحاجة التعليمية أن توجد أطر توضع ضمنها المعلومات . وهذه الأطر هي : المتن والشرح والحاشية والتفريغ .

وهذه القوالب هي التي كانت أكثر شيوعاً وتداولاً بين المؤلفين وطلبة العلم . وهناك أنواع أخرى من القوالب التأليفية مثل الذيل . والمستدرك . ولن أعرض لها الآن . وسيفتصر حديثي على القوالب التي حتمتها الضرورة التعليمية .

#### ١ - المتن :

المتن « في اللغة » : اللحم الذي يكتنف العمود الفقري عن يمين وشمال وقد يطلق على الظهر . وبذلك يؤث

وفي الظهر متان وهما ما يكتنفان الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم والمتن لغة في المتن . قال امرؤ القيس يصف فرسه :

كأن على المتنين منه إذا انتحي مذاك عروس أو صلابة حنظل<sup>(١٦)</sup>

وقال يصف فرسه أيضاً :

لها متنان خفظانا كما أكبّ على ساعديه النمر<sup>(١٧)</sup>

وقال أبو البقاء : المتن الظهر وما ينتهي إليه السند من الكلام<sup>(١٨)</sup> .

وجاء في « المصباح المنير » : « متن الشيء مائة اشتد وقوى .. والمتن الظهر .

وقال ابن فارس : المتنان مكتنفا الصلب من العصب واللحم . وزاد الجوهري عن يمين وشمال » .

هذا في اللغة . قال الشيخ نصر المهوريني : « وأما إطلاق المتن على الكتاب الذي يقابل الشرح فهو من استعمال المولدين تشبيهاً له بظاهر الظهر في القوة والاعتدال<sup>(١٩)</sup> .

قال الحفاجي : « والمقصود هنا بيان ما استعمله المولدون في الكتاب الأصل الذي كتب أصول

المسائل . ويقابله الشرح . وهذا لم يرد عن العرب . وإنما هو مما نقله العرف . تشبيهاً له بالظهر في القوة والاعتدال<sup>(٢٠)</sup> .

ويبدو أن المتن بمفهومه - لا باسمه - عرف من زمن متقدم غير أن إطلاق هذا الاسم تأخر عن ذلك .

ولعل منشأ إطار « المتن » كان تطوراً للمختصرات : ذلك لأن المختصرات كانت هي الخطوة

الأولى في نشوء المتن .

وكلمة « المختصر » توحي أن هذا الكتاب الصغير الحجم اختصار لمعلومات ووردت في كتب ذلك

العلم أو اختصار لكتاب آخر مطول وإن كان الاختصار الثاني جاء متأخراً . ثم جاء عصر اختصرت

فيه هذه المختصرات .

ولعلمهم سموا هذه المختصرات العلمية بالتون : لأنها تتضمن المسائل الأساسية التي يُعمل عليها غيرها . كما أن الظهر أساس للركوب والحمل (١) ويقول أستاذنا مصطفى الزرقا :

« .. ولكنها عندما ظهرت قديما كان الغرض منا حكيما وهو جمع المسائل الأولية البسيطة في منون صغيرة بعبارة سهلة لتكون مبادئ لشدة الفقه (٢) » .

ولا بد من أن يتوافر في المتن ما يأتي :

١ - أن يكون شاملا لمباحث العلم كله .

٢ - أن تذكر فيه رؤوس المسائل بشكل لا تفصيل فيه ولا توسع .

٣ - أن تكون عبارته موجزة ، وأمثلته مقتضبة .

من أجل ذلك كان الغالب على التون صغر الحجم . وهناك من التون ما يكون أكبر من ذلك لأنها درجات .

تم كثرت اختصار المطولات . فعدد عدد من المؤلفين إلى بعض الكتب المطولة فاختصرها لطلابهم في كتب صغيرة . وكنفوا المعلومات . وعلى تقدم الزمان أصبح المؤلفون يبنارون في ضغط المعلومات ضغطا شديدا بأوجز عبارة ممكنة . حتى تصل إلى ما يقرب من الألفاظ وبكاد كل كلمة أو جملة تشير إلى بحث واسع أو مسألة تفصيلية يعملون ذلك ليحفظها الطلبة عن ظهر قلب .

ومن أقدم التون التي وصلت إلينا :

- « الفصيح » لتعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ . وقد اختار فيه مؤلفه الفصيح من كلام العرب مما يجري في كلام الناس (٣) .

وللشيخ أبي سهل المروى المتوفى سنة ٤٢١ هـ شرح عليه سيّاه « التلويح في شرح الفصيح » (٤) .

- ومن التون القديمة التي وصلت إلينا :

« مختصر الحرقى » لعمر بن حسين الحرقى المتوفى سنة ٢٢٤ هـ وهو من أهم كتب الفقه المختصرة عند الحنابلة ومن أقدمها (٥) .

وقد اشتهر هذا المختصر وأثنى عليه العلماء . وشرحه جماعة من اعيان المذهب . منهم القاضي أبو علي بن البنا والشيخ موفق الدين عباد الله بن أحمد بن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠ هـ وسقى شرحه « المغنى » وهو من أهم كتب الاسلام .

- ومن التون القديمة التي وصلت إلينا :

« اللمع » (٦) لابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ . وعلى هذا الكتاب شروح عدة .

قال أبو علي بن البنا في أول شرحه له « مختصر الحرقي » :

( وكان بعض شيوخنا يقول : ثلاثة مختصرات في ثلاثة علوم ، لا أعرف لها نظيرا : الفصح لعلي ، واللمع لابن جني ، وكتاب الحرقي . ما انتغل بها أحد وفهما كما ينبغي إلا أفلق )<sup>(٢١)</sup> وربما كان المختصر أفضل من الأصل .

نقل أبو الحسن الشاذلي في « فهرسته » عن شيخه أبي ذر أنه كان يقول : ( المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة : مختصر العين<sup>(٢٢)</sup> للزبيدي ( ت ٣٧٩ ) ، ومختصر الزاهر<sup>(٢٣)</sup> للزجاجي ( ت ٣٤٠ ) ، ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام<sup>(٢٤)</sup> ( ت ٢١٨ ) ، ومختصر الواضحة<sup>(٢٥)</sup> للمفضل بن سلمة ( ت ٢٩٠ )<sup>(٢٦)</sup> .

ومن المتون القديمة « مختصر المزني »<sup>(٢٧)</sup> في فروع النافعة للنسخ اسحاق بن يحيى المزني المتوفى سنة ٢٦٤ هـ . وقد شرحه أبو اسحاق المروزي المتوفى سنة ٣٤٠ هـ . وشرحه أيضا أبو الطيب طاهر ابن عبد الله الطبري المتوفى سنة ٤٤٥ هـ .

هذا وقد نستعمل كلمة ( المتن ) لتقابل كلمة ( النسخ ) ولا يراد بها المعنى الذي أنسرنا إليه . كما نقول مثلا :

صحيح البخاري متن وشرحه ابن حجر

وحامه أبي تمام متن وشرحها المروزي

والمتون على نوعين هما :

١ - المتون الثرية وهي الأكثر وجودا .

٢ - المتون التبرية وهي المنظومات التي تنظم أبواب العلم وغالبا ما تكون أراجيز . وقد تكون على محور آخرى . وهي نوعان : إما أن تكون نظما للعلم أو أن تكون نظما لكتاب . أما الأولى فكألفية ابن مالك واما الثانية فتنظم العمريطي لمن الغاية . والمتون أنواع<sup>(٢٨)</sup> :

(١) فمنها المختصر جدا .. وهو أكثرها .

(٢) ومنها المتوسط .

(٣) ومنها المفصل .

ولطريقة المتون محاسن وعيوب :

أما محاسنها فهي ضبط مادة العلم في ذهن طلبة العلم واستحضارها دائما وقد كان الطلاب يستظهرون هذه المتون ، ويظنون يردونها بين الحين والحين .

وعيوبها أن من اقتصر عليها كان محدود الأفق ضيق النظرة ، تغلب عليه الناحية اللفظية التي تجور على المعنى والحقائق في كثير من الأحيان .

قال الأستاذ مصطفى الزرقا مجددنا عن المتون في الفقه وهذا الكلام ينطبق إلى حد ما على العلوم الأخرى . قال :

( ولكن المتون انقلبت في العصر المبحوث عنه الى طريقة عامة تعقيدية في تأليف الفقه حتى أن من يريد أن يترك له أثرا وذكرها علميا لا يفكر أن يخدم العلم بمؤلف مستقل يعتمد به إلى التجديد في أسلوب الفقه ولفظه . وفي تنقيحه ونقسيمة . وترنيبه . ونبوييه . والرجوع بمسائله المشتتة في غير أبوابها ومناسباتها .. بل كان كل مؤلف متأخر يحرص جهده في وضع حاشية على شرح أو شرح على متن معقد أو يضع متنا على نسق سائر المتون الاختزالية اللغزية التي تقدمته ( ٢٢١ ) .

### نماذج من المتون :

#### ١) متون قديمة :

جاء في المحرمي : ( والمأموم إذا سمع قراءة الامام فلا يقرأ بالحمد ولا يغيرها لنول الله تعالى « وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » . ولما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مالى أنأزع القرآن ؟ » قال فأنهى الناس أن يقرؤوا فيما جهر فيه النبي ﷺ . والاستحباب أن يقرأ في سكتات الامام وقها لا يجهر فيه . فان لم يفعل فصلاته نامة لأن من كان له امام فقراءة الامام له قراءة . ويسر القراءة في الظهر والعصر . ويجهر بها في الأولين من المغرب والعشاء وفي الصبح . كلها الجهر في موضع الجهر . والإسرار في مواضع الإسرار ) .

وجاء في المذهب للسنرازي : ( والمنحجب أن يمسح جميع الرأس فيأخذ الماء بكفيه . ثم يرسله . ثم يلمس طرف سبابته بطرف سبابته الأخرى . ثم يضعها على مقدم رأسه ويضع إصبعه على صدغيه . ثم يذهب بها إلى ففاه . ثم يردّها إلى المكان الذي بدأ منه لما روى أن عبداً لله بن زيد رضي الله عنه وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمسح رأسه بيديه فأقبل بها وأدير . بدأ بعدم رأسه ثم ذهب بها إلى ففاه » ولأن متابت شعر الرأس مختلفة . ففى ذهابه يستقبل الشعر من مؤخر رأسه فبتعم المسح على ظاهر الشعر فإذا رد حصل المسح على مالم يمسح في ذهابه ) .

وجاء في ( إيساغوجي ) لأثير الدين المفضل بن عمر الأبهري من رجال القرن السابع . ( إيساغوجي ) لفظ يوناني معناه الكليات الخمس . أى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام .

قال : ( القول الشارح : الحد قول دال على ماهية الشيء . وهو الذى يتركب من جنس الشيء وفصله الفريين . كالحبوان الناطق بالنسبة إلى الانسان وهو الحد التام . والحد الناقص وهو الذى

بتركب من جنس الشيء البعد وفصله القريب . كالجسم الناطق بالنسبة الى الانسان . والرسم التام وهو الذي يتركب من جنس الشيء الغريب وخواصه اللازمة له كالحيوان الضاحك في تعريف الانسان . والرسم الناقص . وهو الذي يتركب من عروضيات تختص بجلتها بحقيقة واحدة . كقولنا في تعريف الانسان : إنه مائى على قدميه عريض الأطراف . بادي البشرة . مستقيم القامة . ضحّاك بالطبع .

وجاء في الأجرومية لمحمد بن محمد الأجرومي المتوفى سنة ٧٢٢هـ :

( باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر : وهى ثلاثة أشياء : كان وأخوانها . وإن وأخوانها . وظننت وأخوانها .

فأما كان وأخوانها فإنها ترفع الاسم وتنصب الخبر . وهى : كان وأسى وأصبح وأضحى وظل ويات وصار وليس ومازال وماانك ومافنى . ومايرح ومادام ومانصرف منها نحو كان ويكون وكن . وأصبح ويصبح وأصبح نقول كان زيد فأنها . وليس عمرو شاخصاً وماأنتبه ذلك . وأما إن وأخوانها فأنها تنصب الاسم وترفع الخبر . وهى : إن وأن ولكن وكأن ولبت ولعل . نقول : إن زيدا قائم . ولبت عمراً شاخص . وماأنتبه ذلك .

ومعنى إن وأن للتوكيد . ولكن للاستدراك . وكأن للتنبيه . ولبت للتمنى . ولعل للترجى والتوقع .

وأما ظننت وأخوانها . فأنها تنصب المبتدأ والخبر على أنها مفعولان لها . وهى : ظننت وحسبت وخلت وزعمت ورأيت وعلمت ووجدت واتخذت وجعلت وسمعت .

نقول : ظننت زيدا منطلقاً . وخلت عمراً شاخصاً . وماأنتبه ذلك .

وجاء في فطر الندى لأبى محمد عبدالله بن يوسف المعروف بابن هشام المتوفى سنة ٧٦٢هـ : ( والبدل . وهو تابع مقصود بالحكم بلا واسطة . وهو ستة : بدل كل نحو ( مقارناً حدائق ) وبعض نحو ( من استطاع ) واشتغال نحو ( فقال فيه ) وإضراب وغلط ونسيان . نحو ( تصدفت بديهم دينار ) بحسب قصد الأول والثانى أو الثانى وسبق اللسان . أو الأول وبين الخطأ ) .

وبحسن أن أورد بعض النماذج لمتون شعرية نظمت مسائل العلم فى أبيات نخل ونكر على حسب التفصيل أو الاجمال .

وما جاء فى متن الزيد فى فقه الشافعية لأحمد بن حسن بن رسلان المتوفى ٨٤٤هـ :

### ● باب سجود السهو ●

قبيل نليم نسن سجدناه      لهو ما يبطل عمده الصلاة  
ونسرك بعض عمدا أو لذهل      لا سنة بل نفل ركن قول

وكل ركن قد تركت ساهيا  
 بمثله فهو ينوب عنه  
 ومن نسي التشهد المقدما  
 وجاهل التحريم أو ناسى فلا  
 لكن على المأموم حتما يرجع  
 وعائد قبل انتصاب يندب  
 ومقتد لهوه لن يسجدا  
 وشكه قبل السلام في عدد  
 لكن على يقينه وهو الأقل  
 وجاء في أرجوزة « بغية الباحث عن جل الموارث » المعروفة بالرحبية لمحمد بن علي الرحبي  
 المتوفى سنة ٥٧٧ هـ :

### ● « باب الثالث » ●

والثالث فرض الأم حيث لا ولد  
 كائنين أو ثنتين أو ثلاث  
 وإن يكن زوج وأم وأب  
 وهكذا مع زوجة فصاعدا  
 وهو للثنتين أو ثنتين  
 وهكذا إن كثروا أو زادوا  
 ويسوى الاناث والذكور  
 ولا من الاخوة جمع ذو عدد  
 حكم الذكور فيه كالاناث  
 فثلث الباقي لها مرتب  
 فلا تكن عن العلوم قاعدة  
 من ولد الأم بغير مين  
 فهاهم فيها سواء زاد  
 فيه كما قد أوضح المصور  
 ٢ - الشرح :

الشرح لغة - كما جاء في « القاموس المحيط » - الكشف . والفتح . والفهم .  
 قال ابن فارس في « المقاييس » ( ٢٦٩/٣ ) : ( الشين والراء والهاء أصيل يدل على الفتح  
 والبيان . من ذلك شرحت الكلام وغيره شرحا إذا بينته واشتقاقه من تشريح اللحم ) .  
 وجاء في « المصباح الثمير » : ( شرح الله صدره للاسلام شرحا : وسعه لقبول الحق .. وشرحت  
 الحديث شرحا بمعنى فسرته وبينته وأوضحت معناه وشرحت اللحم، فطعته طولا .  
 ومعنى الشرح هنا ما يقابل المتن . ولهذا المعنى الاصطلاحي صلة وثيقة بالمعنى اللغوي . فهو  
 كتاب وضع على المتن لإيضاح عباراته وتفصيل ما أجمل فيه من مسائل العلم والتوسع فيها .  
 والأصل في الكتاب أن يوضع على حال لا يكون فيها محتاجا إلى شرح .. بل ينبغي أن يفهم  
 بذاته . ولكن الحاجة إلى الشرح كانت بسبب الأمور الاتية :

( ١ ) شدة الابهاز : فلفد أنى عل العلماء حين من الدهر كانتا يرون شدة الابهاز فى ( المتن ) ، وهى الكتب التى توضع للطلبة . خاصة لا يفرى عليها إلا من أوفى المهارة الفائقة<sup>(٢٣)</sup> حتى ان كثيرا من المتن بلغ حد الرموز والألفاظ بسبب المبالغة فى الابهاز والاختصار وضغط العبارة وتحميل اللفظ الغليل المعانى الكثيرة .

قال الاستاذ أبو زهرة : ( .. وقد جاء العلماء فلفصوا هذه الكتب ثم اختصرت هذه التلخيصات فاحتاجت المختصرات الى شروح واستفاضت الأفلام فى هذه الشروح .. وقد اختصر الكتابين المذكورين كثيرون وكان الاختصار شديدا أحيانا حتى بلغ حد الرموز . ثم جاءت الشروح لتحل هذه الرموز .. )<sup>(٢٤)</sup> .

وعند دراسة المتن ومحاولة فهمه كانت تبدو مشكلات عويصة نشأت من غموض الجمل . فكانت الحاجة الى ما يوضح هذه المشكلات .. وكان من أجل ذلك الشرح وقد يبلغ المتن من الرمزية والغموض مبلغا كبيرا بحيث لا يستطيع كثير من الناس فهم مراده إلا بصعوبة . ومن هنا عمد بعض العلماء إلى شرح كتبهم .

( ٢ ) حذف بعض مقدمات الأقبة اعتيادا على وضوحها . أو لأنها من علم آخر . أو إهمال ترتيب بعض الأقبة مما أدى إلى إغفال علل القضايا وعندئذ يحتاج الشارح إلى أن يذكر المقدمات المهمة ويبين ما يمكن بيانه فى ذلك العلم .

( ٣ ) احتال اللفظ لعمان تأويله . أو لطافة المعنى ودفعه عن أن يعبر عنه بلفظ يوضحه . فبححتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف<sup>(٢٥)</sup> .

( ٤ ) وقد يقع فى بعض التصانيف ما لا يخلو البشر عنه من السهو والغلط والحذف لبعض الجهات وتكرار الشيء بعينه بغير ضرورة . فبححتاج الشارح إلى أن ينبه عليه<sup>(٢٦)</sup> .

وواضح أن ظهور الشرح كان متأخرا عن زمن ظهور المتن . وقد مر معنا أننا أن أبا اسحق المروزى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ ألف شرحا على مختصر المزنى . وربما كان قبل المروزى شروح لبعض المصنفات والمتون . مما يدل على ظهور فكرة الشرح فى وقت مبكر .

### أنواع الشروح وأساليبها :

نستطيع أن نميز نوعين من الشروح :

( ١ ) شرح يكون على متن كالألفية مثل شرح ابن عقيل وشرح الأشمونى وشرح ابن هشام على ألفية ابن مالك .

( ٢ ) شرح يكون على أصل كالعلاقات السبع أو العشر . وكصحیح البخارى وكذبون الهامسة . فقد شرح كلا من هذه الأصول عدد من العلماء . وشرحوهم معروفة متداولة .

وأحسب أن الفرق بين ما دعوتاه أصلا وبين المتن واضح من الأمثلة التي ذكرناها .  
فالمتن كتاب تعليمي وضع على وجه الإيجاز ليحفظه طلبة العلم وهو محيط بأبواب العلم كلها .  
أما الأصل فليس كذلك . فإما أن يكون ديوان شعر لشاعر . أو مختارات أو يكون كتابا جامعا  
لأحاديث من نوع ووفق شروط معينة . كالكتب الستة ( البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي  
والترمذي وابن ماجه ) .

أما أساليب الشروح فنذكر منها ما يأتي :

( ١ ) التشرح المزوج : وفيه يدمج الشارح المتن بكلامه ويمزجها ويؤلف منها كتابه . ويميز بين  
المتن والشرح بوضع المتن بين الأهلّة ( الأقواس ) وبوضع خط فوق كلام المتن .  
وهذه طريقة أكثر الشراح المتأخرين من المحققين .  
وإليك بعض الأمثلة :

جاء في متن أبي شجاع ما يأتي :

( فصل . ولا يصح عقد النكاح إلا بولي وشاهدي عدل . ويفتقر الولي والشاهدان إلى ستة  
شرائط : الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورة والعدالة . وأولى الولاية الأب ثم الجد أبو الأب ثم  
الأخ للاب والأم ثم الأخ للأب والأم ثم ابن الأخ للأب ثم العم ثم ابنه على هذا  
الترتيب ) .

وجاء في شرح الخطيب الشربيني المعروف بالافتاح في حل ألفاظ أبي شجاع ٣/٣٢٦ :

( فصل في أركان النكاح : وهي خمسة : صيغة وزوجة وزوج وولي - وهما العاقدان -  
وشاهدان . وعلى الآخرين . وهما الولي والشاهدان . اقتصر المصنف مشيرا إليها بقوله ( ولا يصح  
عقد النكاح الا بولي ) أو مأذونه أو القائم مقامه . كالحاكم عند فقده أو غيبته الشرعية أو عضله أو  
إحرامه ( و ) حضور ( شاهدي عدل ) لخبر ابن حبان في « صحيحه » عن عائشة رضى الله تعالى  
عنها « لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل . وما كان من نكاح على غير ذلك فهو باطل . فان تشاحوا  
فالسultan ولي من لا ولي له » والمعنى في إحضار الشاهدين الاحتياط للابضاح وصيانته الأنكحة عن  
الجمود . ويسن إحضار جمع زيادة على الشاهدين من أهل الخبر والدين ( ويفتقر الولي  
والشاهدان ) المعتبرون لصحة النكاح ( الى ستة شرائط ) بل إلى أكثر كما سيأتي . ( الاسلام )  
وهو في ولي المسلمة اجماعا . وسيأتي أن الكافر يلى الكافرة . وأما الشاهدان فالاسلام شرط  
فيهما . سواء أكانت المتكوجة مسلمة أم ذمية . إذ الكافر ليس أهلا للشهادة .

( و ) الثاني ( البلوغ . و ) الثالث ( العقل ) فلا ولاية لصبي ومجنون ولبس من أهل الشهادة  
( و ) الرابع ( الحرية ) فلا ولاية لرقب ولا يكون شاهدا ( و ) الخامس ( الذكورة ) فلا تملك  
المرأة تزويج نفسها بحال . لا بإذن ولا بغيره . سواء الإيجاب والقبول . إذ لا يلقى بمحاسن العادات



دخولها فيه لما قصد منها من الحياء وعدم ذكره أصلا . وقد قال الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء » ولا تزوج غيرها بولاية ولا وكالة لخبر « لا تزوج المرأة المرأة . ولا المرأة نفسها » نعم لو ابتلينا والعباد بالله تعالى بإمامة امرأة فإن احكامها تنفذ للضرورة كما قال ابن عبد السلام وغيره .  
وقياسه نصحيح نزويجها .

ولا يعتبر إذن المرأة في نكاح غيرها إلا في ملكها . أو في سفيه أو مجنون هي وصية عليه .  
ولبت المرأة أهلا للشهادة . فلا يتعقد النكاح بشهادة النساء ولا برجل وامرأتين لأنه لا يثبت بقولهم .. ( و ) السادس ( العدالة ) وهي ملكة في النفس تمنع من اقتراف الذنوب ولو صفاتر الحسة والذرائل المباحة . فلا يتعقد بولي فاسق . غير الامام الأعظم . مجبرا كان أم لا . فسق يشرب الخمر أم لا . أعلن بفسقه أم لا . لحدث « لا نكاح الا بولي مرشد » قال الامام الشافعي رضى الله عنه : والمراد بالمرشد العدل . وأفتى الغزالي رحمه الله تعالى بأنه لو كان سلب الولاية لا تنقلت الى حاكم فاسق ولي . وإلا فلا . قال : ولا سبيل إلى الفتوى بغيره . إذ الفسق قد عم البلاد والعباد .  
والأوجه إطلاق المتن . لأن الحاكم يزوج للضرورة . وقضائه نافذ . أما الامام الأعظم فلا يقدح فسقه لأنه لا ينزل به فيزوج بناته وبنات غيره بالولاية العامة تخفيا لشأنه فعليه إبقاء بزواج بناته إذا لم يكن لمن ولي غيره كبنات غيره .. ( ) .

( ٢ ) الشرح باستعمال هاتين الكلمتين ( قال ) للمتن و ( أقول ) للشرح كشرح « المقاصد » وشرح « الطوالع » للأصفهاني .

وقد يكتب المتن في هذا الأسلوب في بعض النسخ بتمامه . وربما لا يكتب لكونه متدرجا في الشرح بلا امتياز .

ومن الشروح التي نستعمل ( قال وأقول ) شرح سفور الذهب لابن هشام ولما كان مؤلف المتن هو الشارح كان هذا الكتاب مبنيا على قوله ( قلت ) للمتن و ( أقول ) للشرح .. واليك المثال الآن :

( ثم قلت : فصل - وإذا أتبع المنادى ببدل أو نسق مجرد من « أل » فهو كالمنادى المستقل مطلقا . ونابع المنادى المبني غيرها برفع أو ينصب . إلا تابع « أى » فيرفع . وإلا التابع المضاف المجرد من « أل » فينصب . كتاب العرب . وأقول : لتتابع المنادى أحكاما تخصها : فلهذا أفردتها بفصل .

والحاصل أن التابع إذا كان بدلا أو نسقا مجردا من « أل » فانه يستحق حينئذ ما يستحقه لو كان منادى . فنقول في البدل « بازيد كرز » بالضم . بالضم . كما نقول « ياكركز » وكذلك « يا عيد الله كركز » وفي النسق « بازيد وخالد » بالضم . كما نقول « يا خالد » وكذلك « يا عبد الله وخالد » لا فرق في البابين المذكورين بين كون المنادى معربا أو مبنيا . وإن كان التابع غير بدل ونسق مجرد من

« أَل : فإن كان المنادى مبنياً فالتابع له ثلاثة أقسام : ما يجب رفعه وما يجب نصبه . وما يجوز فيه الوجهان : فالواجب رفعه نعت « أَى » نحو ( يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ ) ( يَأَيُّهَا النَّاسُ ) . وعن المازنى إجازة نصبه . وانه قرئ\* . ( قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرِينَ ) وهذا ان ثبت فهو من التثنية يمكن . والواجب نصبه التابع المضاف . مثاله في النعت نحو « يَا زَيْدُ صَاحِبَ عَمْرٍو » ومثاله في التوكيد « يَا تَجِمْ كُلَّهُمْ » أو « كُلُّكُمْ » ومثاله في البيان « يَا زَيْدُ أَبَا عَيْدٍ اللَّهِ » . والجائز فيه الوجهان التابع المفرد . نحو « يَا زَيْدُ الْفَاضِلُ . وَالْفَاضِلُ » و « يَا تَجِمْ أَجْمَعُونَ . وَأَجْمَعِينَ » و « يَا سَعِيدُ كَرَزُ . وَكَرَزًا » قال ذو الرمة : لِقَاتِلٍ يَا نَصْرَ نَصْرًا

وان كان المنادى معرباً نعين نصب التابع . نحو « يَا عَيْدُ اللَّهِ صَاحِبَ عَمْرٍو » و « يَا بَنِي تَجِمْ كُلَّهُمْ » و « يَا عَيْدُ اللَّهِ أَبَا زَيْدٍ » .

وإذا وجب نصب المضاف التابع للمبنى فنصبه تابعا لمعرب أحق . قال الله تعالى : ( قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ففاطر : صفة لاسم الله سبحانه . وزعم سيبويه أنه نداء نان حذف منه حرف النداء . لأن المنادى الملائم للنداء لا يجوز عنده أن يوصف . وكلمة « اللَّهُمَّ » لا نستعمل الا في النداء ( ٣٧ ) .

( ٣ ) الشرح باستعمال كلمة ( قوله ) كشرح ابن حجر لصحيح البخارى وهذا الأسلوب قليل في شروح المتن . و « فتح البارى » شرح لأصل لا لمتن وسرى بعد قليل أن هذا الأسلوب يكثر في الموائى . ولا يلتزم الشارح بذكر كلام الأصل الذى يشرحه كاملا .. ولكنه يذكر أول الجملة التى يريد شرحها .

ومع ذلك فقد يكتب التناخ ( المتن ) أو ( الأصل ) تاما في الهامش وإليك هذا المثال من صحيح البخارى وفتح البارى : قال البخارى ( باب : العلم قبل القول والعمل لفول الله تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله فبدأ بالعلم وان العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة . وقال جل ذكره إنما ينشى الله من عباده العلماء وقال « وما يعقلها الا العالمون » وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » وقال « هل يستوى الذى يعلمون والذين لا يعلمون » وقال النبى ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما العلم بالتعلم » .

وقال أبو ذر : لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار الى ففاه ثم ظننت أنى أنفذ كلمة سمعتها من النبى ﷺ قبل أن تجبزو على لأنفذنها وقال ابن عباس : كونوا ربانيين حلماء ففهاء علماء . ويقال الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره .

## قال ابن حجر :

﴿قوله باب العلم قبل

القول والعمل﴾ قال ابن التستري وأدب في العلم شرطا في صحة القول والعمل ولا يشترط أن لا يكون مستفيدا عليه إلا معصية فثبتة المعصية كعمل فثبتة المصنف على ذلك حتى يسبق إلى الزمن من قولهم إن الله لا يفتح إلا بالعمل فهو من أمر العلم والشاغل في طلبه ﴿قوله فبعد ما علم﴾ أي حيث قال ما علم أنه لا إله إلا الله ثم قال واستشر في طلب الخطاب وإن كان ثلثي صلى الله عليه وسلم فهو متناول لأمته ولشغل سعيان من حيث بهذه الآية على فضل العلم كما أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمته من طريق الربيع بن النعمان أنه تلاها فقال ألم تعلم أنه بدأ به فقال ما علم ثم أمره بالعمل ويترجع متبادلا ما يقوله المشككون من وجوب المعرفة لكن التراجع كقولهم متناه الصاعق في الجواب نعم الإذاعة على القرآن المثل كقولهم كتب الكلام وقد تقدم من من هذا كتاب الأيمان ﴿قولهم إن العلم﴾ يفتح أن يجوز كسر هاء من هنا أي قوله والفزع من حديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان وأحاكم مصنف من حديث أبي الدرداء عن حذيفة السكافى عنده خبره عن الأشراف بن مسند لكن يشاهد بشي وبها ولم يقع المصنف بكونه حديثا فلهذا لا يرد في مناقبه لكن إرادته في الترجمة يشعر بأن له أصلا وشاهدا من القرآن قوله تعالى ثم أوردنا الكتاب الذين أسلفنا من عبادنا وما ينسبه لترجعه من جهة أن الزاوية تارة مقام الموت فلهذا كسبه فيما وأهم مقامه فيه ﴿قولهم وروا﴾ يشهد إراء المقنونة أي الأتباع ويرى بغيرها مع الكسرة أي العمل وبهذا الأول ما عند الترمذي وبعده فيه وإن الأتباع لم يروا بشارا ولا دعويا ولا فترقا العلم ﴿قوله بحت﴾ أي نصب (والتي) أي كامل ﴿قولهم من كل طريقا﴾ هو من جهة الحديث المذكور وقد أخرج هذه اللجنة أيضا مسلم من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في حديث غيره هذا وأخرجه الترمذي وقال حسن قال أبو زرعة لا يصح لأنه قال إن الأعمش ليس فيه فقال حدثت عن أبي صالح (قلت) لكن قد روى مسلم عن أبي أسامة عن الأعمش حديثا أبو صالح فأنشئت منه تدليس ﴿قولهم شرعا﴾ تكرر ما ذكره في تارة أنواع الطرق الموصلة إلى تحصيل العلوم الدينية وليس مخرج فيه القليل والتكثير ﴿قولهم سئل الله في طريقا﴾ أي في الآخرة لوق الدنيا بأن يوقه الأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة وفيه بشارتة يسبق العلم على طاعة لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة ﴿قولهم وروا﴾ أي أنه عز وجل وهو مطلق هل قوله قول الله تعالى عشتي الله أي عتقت من الله من جهة قوله وسلطان العلم لله ابن عباس ﴿قولهم ما قبلها﴾ أي الأمثال المضروبة ﴿قولهم كاسم﴾ أي مع من يصحبهم (أولئك) عقل من يميز هذه وأصناف أهل العلم فالعقل أو كتمان أهل العلم لما يجب علينا امتثالها فنحن ﴿قولهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم من رزق الله شيئا يشقه﴾ كذا في رواية الأكثر ورواية السلفي عنه ما لا يشك في ذلك وهو روى عنه حماد بن عمار ورواه عنه الحافظ القائل الأول بعد هذا ما بين كتاباتي وأما القائل الثاني فأخرجه ابن أبي عامر في كتاب العلم من طريق ابن عمر عن عمر بن الخطاب ورواه عنه حسن والنفق هو العهد لله تعالى لا يخلو من غيره من حيث لا يشهدون والمراد التدين بالاحكام الشرعية ﴿قولهم والله أعلم بالعلم﴾ هو حديث مرفوع أيضا وأدبه ابن أبي عامر والظاهر أن من حديث معاوية أيضا يفتي بالعلم والاسم علوا الله العلم والتم والتقديس ومن روى عنه غيره أيضا في الخبرين استأنه حسن لا يفتي به مما اعتضد بعينه من روى آخر وروى البراء بن عازب من حديث ابن مسعود وهو قوله ورواه أبو نعيم الأسدي أن عمر بن الخطاب عن أبي الدرداء وغيره فذكر بشر بن الوليد من بعده من عزم (بشاري



٤ - النرح الذى يعتمد إبراد المتن أولا . بأنى بعد ذلك بالنرح وقد يشير بعضهم إلى المتن بحرف الصاد ( يريد المصنف مرجعا ذكر أصل المادة : صنف ) .

وقد يشير بعضهم إلى المتن بحرف الميم ( يريد المصنف مشيرا إلى أول حرف من كلمة المصنف ) .

وإلى النرح بحرف التنين ( يريد النراح )

وقد يستعمل الحير الأحمر علامة أيضا .

واليك هذا المثال :

جاء في شرح فطر الندى ما بأنى : ( ص - وكذا « لا » النافية في الشعر بشرط تكبير معموليها نحو :

نَعَزْ فلا شيء على الأرض با قيا ولاؤزُرُ مما قضى الله واقيا

ش - الحرف الثانى مما يعمل عمل ليس « لا » كقوله :

نَعَزْ فلا شيء على الأرض باقيا ولاوزر مما قضى الله واقيا

ولا إعائها أربعة شروط : أن يتقدم اسمها . وأن لا يقرن خبرها بإلا . وأن يكون اسمها وخبرها نكرين . وأن يكون ذلك في الشعر لا في النثر .

فلا يجوز إعائها في نحو ( لا أفضل منك أحد ) ولا في نحو ( لا أحد إلا أفضل منك ) ولا في نحو ( لا زيد قائم ولا عمرو ) ولهذا غلط المتن في قوله :

إذا الجسد لم يرزق خلاصا من الأذى فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

وقد صرحنا بالشروطين الأخيرين . ووكلت معرفة الأولين إلى القياس على ( ما ) لأن ( ما )

أفوى من ( لا ) ولهذا نعمل في النثر . وقد اشترط في ( ما ) أن لا يتقدم خبرها . ولا يقرن بإلا .

فأما اشترط أن لا يقرن الاسم فلا حاجة له هنا . لأن اسم ( لا ) لا يقرن بأن<sup>(٢٨)</sup> .

٥ - النرح الذى يعتمد النراح فيه إلى شرح ماورد في المتن دون أن يلتزم بذكر عبارة المتن أبدا . ودون أن يشير إليها بشئ .

مثل كتاب « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » .

واليك مثلا منه : قال ابن مالك :

مَيَّزَ في الاستفهام كم بمثل ما مَيَّزَتْ عشرين ككم شخصا

وأجز أن تجره من مضرا إن وليت كم حرف جر مظهرا

واستعملتها مخبرا كعشرة أو مائة ككم رجال أو مره

ككم كأي وكذا وينتصب تمبيز ذين أو به صل من نصب

وقال ابن هشام في « أوضح المسالك » في شرح هذه الأبيات ٢٢٦/٣ :

هذا باب كتابات العدد - وهي ثلاثة : كم ، وكأى ، وكذا .

أما « كم » فتقسم إلى : استفهامية بمعنى أى عدد ، وخبرية بمعنى كثير . ويشتركان في خمسة أمور : كونها كتابتين عن عدد مجهول الجنس والمقدار ، وكونها مبينين ، وكون البناء على السكون ولزوم التصدير ، والاحتياج إلى التمييز .

وفتقران أيضا في خمسة أمور أيضا :

أحدها أن « كم » الاستفهامية تميز بمنصوب مفرد ، نحو « كم عبدا ملكت » ويجوز جره بين مضمره جوارا إن جرّث كم بحرف نحو « بكم درهم اشتريت نوبك » وتميز الخبرية بمجرور مفرد أو مجموع ، نحو « كم رجال جاءوك » و « كم امرأة جاءتك » والافراد أكثر وأبلغ .

والثاني : أن الخبرية تختص بالماضى كرب : لا يجوز « كم غلمان سأملكهم » كما لا يجوز « رب غلمان سأملكهم ويجوز كم عبدا ستشتريه » .

والثالث : أن المتكلم بها لا يستدعى جوابا من مخاطبه

والرابع : أنه يتوجه إليه التصديق والكذب .

والخامس : أن المبدل منها لا يفترق بهمة الاستفهام . فنقول « كم رجال في الدار عشرون بل ثلاثون » ويقال « كم مالك أعشرون أم ثلاثون ؟ »

تنبيه : يروى قول الفرزدق :

كم عمة لك يا جريس وخالة قد فدغاه قد حلبت على عشاري  
يجر « عمة » و « خالة » على أن كم خبرية ، وينصبها ، فقبل : أن فما تميز نصب بميز الخبرية مفردا ، وقبل : على الاستفهام التهكمي ، وعليها فهي مبتدأ . و « قد حلبت » خبر . والنساء للجماعة لأنهما عمت وخالات . ورفعهما على الابتداء . و « حلبت » خبر للعمة أو الخالة . وخبر الأخرى محذوف . والا لقبيل « قد حلبنا » والناء في « حلبت » للوحدة لأنهما عمة واحدة وخالة واحدة . و « كم » نصب على المصدرية أو الظرفية . أى كم حلبت أو وقتا .

وأما « كأى » فبمترلة « كم » الخبرية : في إفادة التكثير . وفي لزوم التصدير . وفي انجرار التمييز ، إلا أن جره بين ظاهرة لا بالاضافة . قال الله تعالى ( وكأين من دابة لا تحمل رزقها ) . وقد ينصب كقوله :

اطرد اليأس بالرجاء فكأى ألما حم يسره بعد عسره

وأما « كذا » فيكتفى به عن العدد القليل والكثير . ويجب في تمييزها النصب . وليس لها المصدر : فلذلك نقول « قبضت كذا وكذا درهما » .

### مهمة التشرح :

مهمة التشرح تعليمية . إذ يسر لطالب العلم فهم المتن الذي حفظه واستظهره . وأستطيع أن أحدد هذه المهمة بما يأتي :

١ - توضيح عبارة المتن لغة وإعرابا وتفصيلا لمجمل . ونصحبها أو نضعيفا لقول . وضربا للأمثلة الكثيرة .

٢ - الزيادة في المعلومات ببيان القيود والشروط في المسألة المشروحة وإيراد أقوال العلماء المختلفة فيها .

٣ - نصرة ما التزم شرحه بقدر الاستطاعة . والدفاع عما نكفل بإيضاحه اللهم إلا إذا عثر على شيء لا يمكن حمله على وجه صحيح . فحينئذ ينبه عليه . وهذا نادر . إذ قلما نجد في الشروح ردا أو انتقادا لما في المتن .

هذا وقد كان بعض العلماء يكتبون متنا . ثم يتولون بأنفسهم شرحه كما صنع ابن هشام في « قطر الندى » و « شذور الذهب » .

وكما صنع ابن حجة الحموي في « بديعته » . ابن حجر في « نخبة الفكر » والعراقي في « ألفية الحديث »<sup>(٢٩)</sup> .

وقد يقع أن يكون شرح المتن لغير المؤلف أجود من شرح المؤلف وأكثر فائدة كما نرى في شرح السخاوي لألفية الحديث للزين العراقي المسمى « فتح المغيب »<sup>(٣٠)</sup> .

### ٣ - الحاشية :

حاشية كل شيء : طرفه وجانبه . وحاشية الكتاب : طرفه . وحاشية النوب جانباه<sup>(٣١)</sup> . ويظهر أن طلبية العلم والعلماء منذ عرفوا الكتاب كانوا يسجلون ما يعن لهم من أفكار وملحوظات واستدراكات على طرف الكتاب وحاشيته . ثم سمي المكتوب على حاشية الكتاب ( حاشية ) على سبيل المجاز المرسل . من نسبة الشيء باسم محله . وهذه العلاقة تعرف في علم البيان بالعلاقة المحلية الشيء هي واحدة من علاقات المجاز المرسل .

أما ظهور الحاشية على أنها قالب من قوالب التأليف وإطار من أطره فقد كان متأخرا . والحاشية - بهذا المعنى - هي المصنوعة في هذا البحث .

وقد اشتق المتأخرون من ( الحاشية ) بمعناها الاصطلاحي فعلا هو : حشئ يحشئ تحشية فهو محشئ . وهذا الاستعمال عامي كما قال الزبيدي في « تاج العروس » قال : ( حشى الرجل تحشية : كتب على حاشية الكتاب عامية ) .

والسبب الداعي إلى ظهورها أن بعض العلماء رأى ضرورة التوسع في موضوعات عرض لها الشارع ولم يوفها حقها .. فكان ذلك دافعا الى أن يكتب فيها بانيا كلامه على ما ورد في الشرح .. ويبدو أن العلماء استحسنوا هذه الطريقة فقلدها فعمت وشاعت .

#### خصائصها :

- أستطيع أن أذكر لهذا الإطار من أطر التأليف الخصائص الآتية :
- ١ - لمؤلف الحاشية أن يستطرد ما أراد الاستطراد لأقل صلة . ومن هنا كنت تجد في الحاشية نغزضا لموضوعات لا يخطر على البال أنها فيها ، وربما وقع المرء على فوائد علمية نادرة يعز الوقوف عليها في غير هذا الموضع .
  - ٢ - ليس كاتب الحاشية ملزما أن يشرح الأصل كلمة كلمة وجملة جملة كما هو الشأن الغالب في الشرح .
  - ٣ - وأهم خصائص الحاشية أننا لا نرى فيها دجما بين كلام الشرح والحاشية بل يختار المؤلف بعض العبارات ويوردها بقوله : ( قوله كذا .. ) ويضعها بين هلالين ، ولا يتم العبارة .

#### مهمتها :

والحاشية على نوعين :

- ١ - حاشية على شرح : وهذا أكثر ما تكون عليه الموائى .  
كحاشية البساطي ( المتوفى ٨٤٢هـ ) على الافصاح المطول .  
وكحاشية السجاعي ( المتوفى ١١٩٧هـ ) على شرح الفطر .  
وكحاشية الصبان ( المتوفى ١٢٠٦هـ ) على شرح الأشمونى .
- ٢ - حاشية على متن : وهذا النوع أقل من النوع الأول .  
كحاشية الباجورى ( المتوفى ١٢٧٦هـ ) على السمرقندية .  
وكحاشية محمد الأمير ( المتوفى ١٣٣٢هـ ) على مقنى اللبيب . وسرى مثالا على كل من النوعين .

#### أنواعها :

- والمهمة التى تزديها الحاشية هي :
- تأييد ما يذهب إليه الشارع .
  - أو الاستنهاد له .
  - أو اكمال ما أورد من شاهد ، ونوبيهه .
  - أو نقد الشارع والاستدراك عليه .



- أو توسيع الموضوع وتفصيله .

- أو الإتيان ببعض القوائد التي نهم الطالب المتصلة من بعيد بما يذكره الشارح .

- أو إيراد نُقول عن الكتب الأخرى في هذا الموضوع لتكملته . وغالبا تجتمع هذه الأمور في الحاشية أو معظمها أو بعضها .

وإليك بعض الأمثلة :

١ - مثال على حاشية على شرح :

جاء في شرح القطر ما يأتي :

( وإنا نكون « ذا » موصولة بشرط أن يقدمها « ما » الاستفهامية نحو « ماذا أنزل ريكم » أو « من » الاستفهامية نحو قوله :

وقصيدة نأنسى الملوك غريبة قد قللتها ليقال من ذا قالها  
أى ما الذى أنزل ريكم . ومن الذى قالها . فان لم يدخل عليها شيء من ذلك فهي اسم إشارة ولا يجوز أن تكون موصولة خلافا للكوفيين واستدلوا بقوله :

غَدَسَ مَالِ الْعِيَادِ عَلَيْكَ إِمَارَةً أَمَنْتَ وَهَذَا تَحْمِلَيْنِ طَلِيقَ  
قالوا ( هذا ) موصول مبتدأ ، و ( تحملين ) صلته ، والعائد محذوف ، و ( طليق ) خبره ،  
والتقدير : والذي تحمليته طليق . وهذا لا دليل فيه .. ) .

قال السجاعي في حاشيته ما يأتي :

« قوله بشرط أن تقدمها الخ » ويشترط أيضا عدم إلغاء ( ذا ) ، والمراد بإلغائها ان تجعل  
مع ( ما ) أو ( من ) اسما واحدا مستفهما به . ويظهر أثر الأمرين في البديل من اسم  
الاستفهام . وفي الجواب فتقول عند جعلك ( ذا ) موصولا : ماذا صنعت أخير أم شر . بالرفع  
عل البدلية من ( ما ) لأنه مبتدأ و ( ذا ) خبره . أو بالعكس . وجملة ( صنعت ) صلته . وتقول  
عند جعلها اسما واحدا : ماذا صنعت أخيرا أم سرا . ومن ذا أكرمت أزيذا أم عمرا . بالنصب عل  
البدلية من ( ماذا ) أو ( من ذا ) لأنه منصوب بالمفعولية مقدما .

وكذلك تفعل في الجواب كما في قوله تعالى ( وبسألونك ماذا ينفقون فل العفو ) فرى في السبع  
يرفع العفو ونصبه . نأمل .

« قوله وقصيدة تأتي .. الخ » من بحر الكامل . وهى فعلة بمعنى مفعولة . لأن الشاعر يقصد  
تحسينها ونهذيبها . ولا نسمى الأبيات قصيدة حتى تكون عشرة . وقبل : حتى تجاوز سبعة . وما  
دون ذلك يسمى قطعة .

« قوله عدس ما لعياد . الخ » من الطويل . وعدس بفتح العين والبدال وسكون السين  
المهملات . اسم صوت يزرجر به البغل . والإتيان بضمير المؤنث في البيت إما لكون المزجور أنثى .

أو على إرادة الدابة ، بناء على أنه مذكر . وإمارة . بكسر الهمزة . أى حكم . « وقوله أمنت .. الخ » يروى بدله : نجوت . ويطبق أى مطلق من السجن والشاهد فى « هذا » حيث جاءت موصولة على رأى الكوفيين . وعبد المذکور ملك سجستان . وكان الشاعر قد هجاء . فلما سجنه وأطال سجنه كلموا فيه معاوية . فبعث إليه : فأخرجه . وقدمت إليه بقلته فتفرت . فقال : عدس .. الخ اهـ ش (١٧) ملخصا (١٨) .

٢ - مثال على حاشية على متن :

جاء فى السمرقندية ما يأتى :

« ذهب السكاكى إلى أنه إن كان المستعار له محققا حسا أو عقلا فالاستعارة تحقيقية وإلا فتخييلية » .

قال البيجورى فى حاشيته على السمرقندية ما يلى :

« قوله محققا حسا أو عقلا المراد بالمحقق حسا ما له تحقق فى الخارج بحيث يحس بحاسة البصر . وذلك كما فى قولك : رأيت أسدا فى المنام . فإن المستعار له . وهو الرجل الشجاع محقق حسا بالمعنى المذكور . والمراد بالمحقق عقلا ما يحكم العقل بأنه ذو تحقق . لكونه ثابت فى نفسه كالأشياء الاعتبارية الصادقة . وذلك كما فى قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » فإن المستعار له وهو الدين الحق محقق عقلا بالمعنى المذكور . وعلم من ذلك أنه ليس المراد بالتحقق عقلا مجرد كون المستعار له موجودا فى الذهن . فإن هذا القدر موجود فى التخيلية . ولا يخفى أنه يلزم من كون المستعار له محققا حسا كونه محققا عقلا وحينئذ فقوله حسا أى وعقلا . وقوله أو عقلا أى فقط .

« قوله فالاستعارة تحقيقية » سميت بذلك لأن المستعار له محقق إما فى الحس أو العقل .

« قوله وألا » أى وإن لم يكن المستعار له محققا حسا أو عقلا بأن كان متخيلا . وذلك كما فى قولك : « أنشيت النبتة أظفارها بفلان » فإن المستعار له متخيل لأنه بعد تشبيه النبتة بالسبع تتخيل القوة المفكرة للنبتة صورة شبيهة بالأظفار فتشبهت الصورة المتخيلة بالصورة الحقيقية . واستعير لفظ الأظفار من الصورة المحققة للصورة المتخيلة على طريق الاستعارة التخيلية . والتعبير بالقوة المفكرة أولى من تعبيرهم بالوهم . لأن الذى من شأنه التحليل والتركيب إنما هو القوة المفكرة . ويقال لها القوة المتصرفة . لكن لما كان نصرعها المذكور بواسطة الوهم نسيبه إليه . وذلك أن الحكماء زعموا أن فى الرأس ثلاثة عجائب :

- تجويف فى مقدمه . وفيه فونان « الأولى الحس المشترك . وهو قوة تدرك صور المحسوسات بأسرها . والثانية الخيال وهو قوة تحفظ تلك الصور فهى خزانة للحس المشترك .

- وتجويف فى مؤخره . وفيه فونان : الأولى الواهمة . وهى قوة تدرك المعانى المجزئة كصدافة زيد وعداوة عمرو . والثانية الحافظة وهى قوة تحفظ تلك المعانى . فهى خزانة للواهمة .

- وتجويف في وسطه . مستطيل بين التجويفتين ، نافذ لكل منها ، ومملوء بالدودة وفيه قوة واحدة وهي المفكرة .

هذا ما استهر في النفل عنهم ، وفي كلام بعضهم أن الواحة مع المفكرة في التجويف الذي في وسطه . والمحافظة في أول التجويف الذي في مزخره .

وافترض الحكمة الأظية فراغ آخر للنزول والصدم . كما قاله بعض شراح الهداية . وجميع هذه القوى غير القوة العاقلة التي في القلب ولها شعاع متصل بالدماغ وقد جمعت في قول بعضهم :

أمنع شريكك عن خيالك وانصرف عن وهمه واحفظ لذلك واعقلا

وما عدا القوة العاقلة من هذه القوى لم يبق عند أهل السنة دليل على نبوتها ولا على انتفاها فهم لا يقولون بنبوتها ولا بانتفاها .

« قوله فتخييلية » سميت بذلك لأن المستعار له متخيل « (١٤) .

د - التقرير :

ولا يكون غالبا إلا على الحاشية . وقليلا ما يكون على المتن أو الشرح . والتقرير كلمات يفوها الأستاذ ساعة إلقائه الدرس ، وقد يرتجىها ويرتب أعضائها مكتوبة قبل الدرس .

وأكثر المعلومات في التقرير تكون إكمال لما ورد في الحاشية وزيادة عليها أو نقدا لما جاء فيها فهو إذا تميم للحاشية وإكمال لما وعد الأمور التي سكت عنها صاحب التقرير محل موافقة منه عليها .

ومن أشهر أصحاب التقارير الشيخ محمد الأنباري المتوفى سنة ١٣١٢ هـ . وسنضرب مثلا على هذا الإطار من تقرير الأجهوري على حاشية الهاجوري على السمرقندية في البلاغة :

المثال :

قال العلامة الشيخ أحمد الأجهوري « المتوفى ١٢٩٣ هـ » في تقريره على الموضع السابق الذي أوردناه آنفا قال :

« قوله ومملوء بالدودة » أي مملوء بالتجويف المتوسط في الرأس بالتجويف المتوسط في الدودة . بمعنى أنه مثله في الاستطالة . فلها ثلاثة تجاويف ، تجويف عند رأسها ، وتجويف عند ذيلها ، وتجويف في وسطها وهو أطول من التجويفين الآخرين . وقد أخبرنا بعض الناس أنه رأها كذلك « (١٥) .

ملحوظات هامة :

١ - كان التسلسل الزمني لظهور هذه الأطر من الكتب وفقا للترتيب الذي أوردناها عليه . فأقدمها المتن . وأحدثها التقرير الذي يعد إطارا حديث الظهور بالنسبة إلى الأطر السابقة .

٢ - إن معظم المؤلفين في العصور المتأخرة قد ضعفت حاسة النقد عندهم . وكأنني بهم قد أسقطوا من حسابهم موضوع المناقشة . ولذلك فأنت نراهم يوردون الحرافات والأساطير دون أن يعلقوا عليها بشيء . ويوردون الافتراضات الخيالية : من ذلك ما جاء في « الحوائش المدنية » ١١٢/١ للكردى

المتوفى ١١٩٤ تعليقاً على قول النارج « وما نولد من احدهما » مع حيوان طاهر ولو آدمياً غلباً للنجس » : « قال في » التحفة » : بخلاف التكاليف ، لأن مناطها العقل ، ولا يتأهيه نجاسة عينه للعفو عنها ، فبدخل المسجد وبماس الناس ولو مع الرطوبة وبؤسهم ، لأنه لا تفرقه الاعاقة . اهـ ملخصاً وأقنى م ر<sup>(١٦)</sup> بطهارته حيث كان على صورة الأدمى كما ذكره سم<sup>(١٧)</sup> في حواشي المنهج . فإن كان على صورة الكلب فال سم في « حواشي التحفة » : ينبغي نجاسته وألاً بكلف وإن نكلم ومبًز وبلغ مدة بلوغ الأدمى إذ هو بصورة الكلب ، والأصل عدم آدميته .. وذكر عن بعضهم أن الأدمى بين شائين يصح منه أن يخطب ويؤم الناس ويميز ذبحه وأكله اهـ . فبانه أن الأدمى من حيوان البحر كذلك . وفي كلام بعضهم أن المتولد بين سمك وأدمى له حكم الأدمى اهـ مقتضاه حرمة أكله .. » .

٣ - إن التخصصية العلمية التامة في المؤلفين قل ظهورها في المؤلفات المتأخرة وذلك أننا نجد فيها أفعوالاً عدة حفظها المؤلف وأوردها دون أن يبدى رأيه في الأقوى منها ، إلا أن يكون للمتقدمين فيها قول صريح قبأني به عندئذ نافلاً .

٤ - أن دوران هذه الأطر التأليفية على حل الألفاظ وشرحها جعل اهتمام طلبة العلم والمؤلفين بالناحية اللفظية كبيراً جداً : فقد كان لأصحاب الحواشي والتفريرات جولات مطولة في دلالة الجملة والكلمة ، و مناقشات مسهية لتواحي لفظية . وكان اهتمامهم يطغى على ما سواه كتسهيل العلوم وضبط مسائلها ونفريب قصصها وجمع شاردتها .

وهذا الغرم لا يتناسب والغنم الذي تزده من الدقة والوقوف على الدلالة بشكل جيد . ولا ببالغ من يقول : إن الوسيلة انقلبت عند أصحاب الشروح والحواشي والتفريرات إلى غابة . فاللفظ وفهمه وسيلة لفهم مسائل العلم . وليس غابة في ذاته . بينما نجد أن ذلك غابة عند القوم .



## ● الزواجر ●

- (١) انظر مسامع البحث العلمي، لعبد الرحمن بدوي ص ٤ .
- (٢) ولد طبع في روما سنة ١٥٩٣ م في طهران ثم في لندن ومصر . وطبع في أوروبا أكثر من مرة حذوها باللغات الأجنبية وبعضها مشغوعاً بالنص العربي انظر معجم الطبوعات العربية ١/١٣٠ - ١٣١) ونسخ الاسلام ابن تيمية رأى في الرجل وفكره .
- (٣) من أمثال جرجي زيدان في كتابه «تاريخ أدب اللغة العربية» وأحمد أمين في كتابه «مضى الاسلام» و«ظهر الاسلام» وطه حسين وأحمد زكي في مقدمتها للرسائل المطبوعة في مصر .
- (٤) هذه الرسائل إحدى وطسون رسالة . منها رسائل رياضيه وهي ١٤ رسالة - الأولى في العدد وماهيته وكيفية وكيفية خواصه . والثانية في المداينة وبيان ماهيتها وأنواعها . وفي هاتين الرسائل من تحريقات الفلاسفة المتفكرين وأساطيرهم الضحكة التي الكثير . والثالثة في التحريم . وفيها نقد الاسعاف للشمسي : إذ ينفر كانبوعاً أن للشمس تأثيراً في هذا العالم .. ومنها الرسائل الجسدية الطبيعية وهي ١٧ رسالة وفيها كذلك من الفساد والاتحاد النسيء الكثير . ولكن فيها كلاماً عن حوادث الحور والضباب والأنظار والروعود والرق وما إلى ذلك . هذا وقد نشرت هذه الرسائل أكثر من مرة في أربعة مجلدات كبيرة وسعى في نشرها وضممتها مستشرقون وصحاري وحسن السفرين . وبذلكها فهم من أئمة القراطة كما قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية في مدره تناقض العمل والعلل ١٠/٥ وكما جاء في فتوى له عن التصديرة ص ١٩ طبع دار الافتاء بالرياض . وغول المستشرق دى يور في كتابه «تاريخ الفلسفة في الاسلام ١١٣» : «ان أراء إخوان الصفا ظهرت في مجملها من جديد عند عرق كثيرة في العالم الاسلامي كالباطنية والاسماعيلية والمعتزلة والدرزية» .
- (٥) انظر «مضى الاسلام» ١٦/٢ وما بعدها .
- (٦) انظر مسامع البحث العلمي ص ٦ - ٧ .
- (٧) مقدمة ابن خلدون ١/١٣١٧ - ١٣٥٠ ط على عبد الواحد واى
- (٨) «كتف الطون» ٢٥/١ .
- (٩) «قواعد التعبدية» ص ٧ (الطبعة الاولى)
- (١٠) انظر في ذلك كتاب «الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي» ص ٣٦٥ لعبد اللطيف حمزة وكتاب «التلفستندى في صبح الأعيان» لعبد اللطيف حمزة ص ١٣ .
- (١١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٣ .
- (١٢) انظر «كتف الطون» ٢٥/١ .
- (١٣) مقدمة ابن خلدون ١/١٣٥٢ تحقيق واى .
- (١٤) انتهى : وقف في ناحية البيت . ولذلك : الحجر الذى يداك به الطبيب أى يسحق . والصلابة : الصخرة المسددة يدق بها لب الخنظل . وقد روى هذا البيت في نسخة من نسخ الديوان . وفي بعض كتب المختارات على وجه آخر بخلاف الرواية التي أثبتناها .
- (١٥) ديوان امرى القيس : ١٤ وخطايل : كثيرا اللع مكثران صلبان وجد في «شرح الديوان» تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ص ١١٤ : «اراد «مستنن خطان» «فألقى التون» . ودل على ذلك قول أبى ذؤاد :

ومستنن خطان كزحلوف من الحطب

- وقوله « خطان » : يعنى تين مكتنز قليلا . وذهب الى الصلاة في وصفه لا إلى كثرة التعمير وقوله « كما أكب على ساعديه التمر » أراد كساعدي التمر المبارك في غلظتها .
- (١٦) الكليات ٣٠٨/٤ طبعة دمشق ١٩٧٦ .
- (١٧) انظر تعليق الشيخ نصر المرويتي في حاشية على القاموس مادة : عثن .
- (١٨) شفاء الغليل لها في كلام العرب من الدخيل ص ١٨٨ تأليف شهاب الدين احمد الخطابي - ط مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥ هـ .
- (١٩) المدخل القفهي للزرقا ص ١٩٩ .
- (٢٠) طبع هذا الكتاب في لبيز سنة ١٨٧٦ م في نحو ٧٠ صفحة وطبع في مصر وذكرته نشره مكتبة الشئى أن عبدالنعم خفاجي حلقه .
- (٢١) طبع في مصر سنة ١٢٨٩ هـ ومعه ذيل على « النصيح » لموفق الدين البخاري المتوفى سنة ٦٢٩ هـ .
- (٢٢) طبع في دمشق لأول مرة طبعة جيدة محققة في المكتب الإسلامي بعناية الاستاذ زهير الشاويش .
- (٢٣) كتاب التلمع طبع في الكويت سنة ١٣٩٢ هـ « ١٩٧٢ م » بتحقيق غازي غارس نشر دار الكتب الثقافية ثم طبع في مصر بتحقيق د . حسن محمد شرف سنة ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م نشر : عالم الكتب بالقاهرة .
- (٢٤) « المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الامام أحمد » للعلبي ٥٦/٢ رقم الترجمة ٦٠٨
- (٢٥) كتاب « العين » للخليل بن احمد التوفى سنة ١٧٠ هـ . وقد شرح بطبعة .
- (٢٦) كتاب « الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس » لـ محمد بن القاسم الأتباري النحوي التوفى سنة ٣٢٨ هـ .
- (٢٧) سيرة ابن اسحاق لمحمد بن اسحاق التوفى سنة ١٥٩ هـ .
- (٢٨) في « كتب الطون » ١٩٩٦ : الواصفة في اعراب القرآن لمعدالمك بن حبيب التوفى ٢٢٩ .
- (٢٩) انظر : الزمر ٨٧/١ .
- (٣٠) انظر « كتب الطون » ١٦٣٥/٢ .
- (٣١) انظر « الكتاب المدرسي فلسفته تاريخه اسمه تفويده استخدماته » تأليف ابو الفتح رضوان وعبدالمجيد السيد ومحمد الحادي عيسى ومحمد احمد الغنام .
- (٣٢) المدخل القفهي ص ٢٠٠ .
- ( ٣٣ ) كتب الطون : ٣٧ ، ٣٦/١ .
- ( ٣٤ ) أصول الفقه : ٢٠ .
- ( ٣٥ ) « كتب الطون » ٣٧ ، ٣٦/١ .
- ( ٣٦ ) شذور الذهب - ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .
- ( ٣٧ ) كتب الطون - ٣٧/١ .
- ( ٣٨ ) شرح نظر الندى ١٤٧/١٤٥ .
- (٣٩) وهذه الكتب كلها مطبوعة .
- (٤٠) طبع هذا الكتاب من أحد بعيد في الهند . ثم طبع في القاهرة طبعة بحرفة سليمة كثيرة الاغلاط والسطط نشر المكتبة السلفية في المدينة المنورة وبححتاج هذا الكتاب التلمس الى تحقيق وضبط .
- (٤١) انظر معجمات اللغة كقاموس ولسان العرب وانظر « شفاء الغليل » ص ٦٩ .
- (٤٢) لعله يريد بالرمز شرح التثنائي الكبير على الأبرومية - انظر حاشية السجاعي ص ٣ .
- (٤٣) حاشية السجاعي ص ٥٦ .
- (٤٤) حاشية الامام البيهقوي على متن السرقة البهانية ص ٢٢ طبع بولاق سنة ١٣٠٢ .

(٤٥) حاشية البجورية على السمرقندية ٢٢ .

(٤٦) م ر في كتب الشافعية رمز للعلامة محمد الرمل « انظر كتاب الأملاء » ص ٢٠٣ - ٢٠٥ لحسين النواي ط النصار سنة ١٣٢٢ هـ .

(٤٧) سم في كتب الشافعية رمز للعلامة ابن قاسم العبادي « انظر » كتاب الإملاء ص ٢٠٣ - ٢٠٥ لحسين النواي ط النصار سنة ١٣٢٢ هـ .



« يجب أن يعنى كل واحد منا بأمره أولاً ، وبأمر إخوانه  
ثانياً ، وأن يبذل جهده في إصلاح نفسه وإصلاح إخوانه  
وأن يقوم المعرج من أعمالنا وأخلاقنا ، وأن يواجه كل منا  
مجهوداته نحو الخطوة المثلى .

« عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود »